كلمات لا تنقصها الصراحة

كلمة ثالثة وأخيرة لمن اجتمعوا في بغداد:

نقولها من القلب لمن وقفوا جانبنا جانب الحق: شكرا

على الذين تطاولوا على مصر في بغداد أن يعرفوا:

مصر لا تتأثر بمهاترات الصبيان

كل قرار اتخذ في بغداد خاصا بالجامعة العربية باطل بطلانا مطلقا

المصور: 10-11-1978

بقلم صبري أبو المجد:

كنت من بين أولئك الذين تخوفوا من أن ينعقد أي لقاء عربي في بغداد، قبل أن يتم اللقاء الأخير في بغداد. ولم يكن تخوفي أبدا، لأن الذي قام بتوجيه الدعوة إلى هذا اللقاء هو " المهيب" المهاب" أحمد حسن البكر فمثلي يعرف جيدا من هو أحمد حسن البكر، ومن الذي يتولى أمره في بغداد ومن الذي يتولى أمره وأمر حزبه خارج بغداد، مع مصر أو ضد مصر، فكل السوابق التاريخية تؤكد لنا أن معظم اللقاءات العربية، هي لقاءات أكل وشرب وخطب رنانة مليئة بالمهاترات السخيفة القذرة، وينتهي أثرها- أثر اللقاءات .... لا الأكل ولا الشرب ولا الخطب – بمجرد الانتهاء من تلك اللقاءات...

ولم يكن تخوفي أيضا بسبب أن الدعوة للقاء بغداد من وراء ظهر الجامعة أو بدون علمها أو بدون موافقة مجلس الجامعة العربية تؤكد أن مؤتمرات الجامعة العربية كغيرها من اللقاءات العربية لا تتم إلا لكي تنقض، ولا تنفض إلا بعد إيجاد كثير من الجروح الأليمة الدامية التي يسببها أولئك العباقرة دكاترة الكلاملوجيا، أبطال الميكروفونات الذين لا هم لهم في أي مؤتمر أول لقاء عربي، إلا أن يوجهوا اتهامات العمالة والخيانة إلى أي نظام من الأنظمة العربية، أو لبعض الأنظمة العربية، وليس مهما أن تكون الاتهامات موجهة إلى أعداء الأمس أو أصدقائه فسيان عند هؤلاء، المهم هو ضرورة شغل جانب كبير من المؤتمرات واللقاءات العربية بتوجيه الاتهامات.... أية اتهامات. لم يكن تخوفي من أجل ذلك كله، ولكن كان تخوفي لأمر واحد ووحيد، هو أن يؤدي

لقاء بغداد، إلى زيادة المرارة في قلب الشعب المصري، تكل المرارة التي يتعمد خلقها والأبقاء عليها وزيادتها ومضاعفتها بعض " الأخوة العرب". ولذلك قلت في العدد الصادر من " المصور" في 27 أكتوبر 1978، في يوم لقاء وزراء الخارجية العرب بالحرف الواحد:

" تبقى كلمة صريحة أقولها كمواطن مصري عربي، قبل أن يتجه أحد إلى بغداد للمشاركة في مؤتمر وزراء الخارجية للإشتراك في مؤتمر القمة المقترح في بغداد، أننا لن نقبل أبدا التآمر ضدنا من أحد وسوف نرد على هذا التآمر بمثله، أننا لن نصبر على أحد من خصومنا وأعدائنا كما سبق أن صبرنا وصابرنا، أننا نخشى أن يفيض بشعب مصر الكيل فيتخذ من المواقف ما لا نحب أن يتخذ، أن مصر لن تضار بأكثر مما أضيرت حيث تكسرت فيها النصال على النصال، وإنما الذي سيضار من تلك التحركات المشبوهة والتصرفات اللاعربية ومن بينها لقاءات بغداد، الذي سيضار هو الشعب العربي ككل، وحركة النضال العربي التي نحرص على قوتها ووحدتها حرصنا على حياتنا....."

وفي العدد التالي من " المصور" الصادر في 2 نوفمبر 1978، بينما كان لقاء بغداد منعقدا، قلت أيضا وبالحرف الواحد:

" نقولها كلمة صريحة وواضحة، لكل من سيشارك في مؤتمر بغداد، مهما كان حبنا له، وثقتنا به. أن شعب مصر لا يمكن أن ينسى أبدا لقاء بغداد، مشاركته في لقاء بغداد وسوف تبقى المشاركة في لقاء بغداد، بالنسبة لشعب مصر، جرحا عميقا لا يمكن أن يبرأ على مدى الأيام."

كما قلت أيضا وبالحرف الواحد:

" أننا هنا في مصر ننتظر في ثقة وثبات كل ما سيقال في هذا المؤتمر، وكل ما يمكن أن يتمخض عنه هذا المؤتمر من قرارات، لقد أدت مصر واجبها ولا تزال تؤديه في خدمة القضية العربية كأروع ما يكون الأداء ومصر شاء نظام البعث العراقي ونظام البعث السوري أم أبيا هي مصر. لا يمكن أن تنال منها تلك المؤامرات الصبيانية التي يحركها أعداء الأمة العربية.".

وأعترف بأنني كنت حسن الظن إلى حد ما بلقاء بغداد، فلقد تصورت على ضوء التصريحات العنترية التي سبقت لقاء بغداد، وعلى ضوء حملات التعبئة التي قام بها زعماء ما يسمى بجبهة الصمود والتصدي أن لقاء بغداد يمكن أن يسفر عن بعض القرارات التاريخية، كأن يعلن المجتمعون مثلا- وبعضهم من دول البترول- عزمهم على استخدام سلاح البترول من أجل الضغط على إسرائيل لكي تتخذ موقفا معتدلا فتعترف مثلا بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني.

كل قرارات لقاء بغداد لا تكسب الشرعية لأنها تمت خارج نطاق الجامعة العربية.

ومن بينها حق الشعب في إقامة دولة فورا، ظننت- وبعض الظن اثم- أن المجتمعين في بغداد، والذي وجه الدعوة هو كبير زعماء " الصمود والتصدي" والقائد الأعظم لجبهة الرفض ومعه زملاؤه الأفذاذ أمثال نابليون بونابرت الأسد وجنكيز خان القذافي و الأسكندر الأكبر الجزائري، وظننت أن هؤلاء الأقطاب والحكام العظام والقواد التاريخيين سوف يعلنون فور اجتماعهم تشكيل الجبهة الشرقية والدخول في حرب شعبية ضارية ضد إسرائيل كما يقولون في بياناتهم وخطبهم ومقالاتهم بل وفي تعميماتهم على أعضاء أحزابهم، كنت حسن الظن عندما قلت: إذا شاء المجتمعون في بغداد أن يحاربوا فلا أحد أبدا يمكن أن يحول بينهم وبين الحرب، فالحدود العربية الإسرائيلية مفتوحة وجنرالات الحرب العباقرة العظام من أقطاب حزبي البعث السوري والعراقي متواجدون بكثرة تواجد التمر في بغداد" قلت بالحرف الواحد:" أن لدى الأخوة العرب المجتمعين في بغداد الأسلحة التي تكفيهم لحروب طويلة إذا أرادوا الحرب، أما الحرب بمعناها القديم، الحرب حتى آخر جندي مصري وحتى آخر دبابة مصرية وحتى أخر طائرة مصرية، أما الحرب بالشعارات والميكروفونات، حرب الأحاديث الصحفية والإذاعية والتليفزيونية فنعتقد مخلصين أنها بدعة قد انتهت إلى الأبد، وقد كشفها الشعب العربي بحيث لم تعد تقنع أحدا، أي أحد، من أفراد الشعب العربي..."

وأحب بادئ ذي بدء، والحديث عن لقاء بغداد، فمؤتمرات القمة العربية لها شروطها وضوابطها التي لم تتوافر أبدا في لقاء بغداد.... أقول للأخوة العرب وهم غالبية الذين اشتركوا في لقاء بغداد،وهم الذين وقفوا مواقف مشرفة تجاه مصر، وتجاه شعب مصر، أقول لهم أن شعب مصر لن ينسى أبدا لواجد منهم أي موقف قومي اتخذه مع شعب مصر، أو بمعنى أدق مع الحق الذي يقف إلى جانبه شعب مصر، نقول لهؤلاء الأخوة إننا كشعب نقدر تماما الظروف التي دفعتهم إلى المشاركة في لقاء بغداد، ونقدر جيدا الأسباب الموضوعية التي أو جبت عليهم المشاركة في لقاء بغداد.... نعرف مثلا وجيدا أن بعض هؤلاء قد وقعوا ضحايا لعملية تزييف خطيرة، قام بها ممثلو الرئيس " المهيب" المهاب" أحمد حسن البكر الذين توجهوا إلى بعض الأقطار العربية التقوا بقادتها هناك، لقد أكد هؤلاء المبعوثون للقادة العرب أن هناك إجماعا عربيا على الالتقاء في بغداد، وأن الدعوة قد وجهت إلى مصر للمشاركة في هذا اللقاء وأن مصر تفكر في تلبية هذه الدعوة جيدا لأن الهدف من لقاء بغداد هو الالتقاء حول حد أدنى من الاتفاق العربي يمكن أن يخرج الشعب العربي من أزمة التفكك التي يعانيها، وبين يدي الآن وأنا اكتب هذه الكلمات تصريحات مكتوبة نشرت على ألسنة بعض وزراء الخارجية العرب، بل وتفضلت بعض سفارات هؤلاء الوزراء العرب فأرسلت إلينا النص الحرفي الرسمي لهذه التصريحات، وقد جاء فيها أن الدعوة للقاء بغداد قد وجهت إلى مصر وأن هؤلاء الوزراء لن يقبلوا أبدا المساس بمصر أو التطاول على شعب مصر أو حتى مجرد التفكير في اتخاذ أي موقف عدائي ضد مصر" وكم كان

محزنا للغاية أن تنشر هذه التصريحات على ألسنة بعض وزراء خارجية الدول العربية، في الوقت الذي يلتقي فيه وكيل الخارجية العراقية بمبعوثي الدول العربية في بغداد ليقول لهم أن الدعوة قد وجهت إلى كل وزراء الخارجية العرب فيما عدا مصر، وكان كلام هذا الوكيل متناقضا تماما مع أقوال مبعوثي الرئيس " المهيب" " المهاب" أحمد حسن البكر إلى ملوك ورؤساء الدول العربية، وأنا كمواطن مصر أقدر تماما بعض وزراء الخارجية العرب الذين أجبروا على أن يتقدموا بورقة عمل لا أسميها بأكثر من أنها ورقة عمل قذرة لمشروع قذر، أعرف أن هؤلاء الوزراء يخشون على بلادهم الصغيرة من أن تجتاحها قوات البعث العراقي في ساعات قليلة، وهذا الخوف من الاجتياح هو الذي دفعهم إلى اتخاذ هذه المواقف الهزيلة الضعيفة ولو أن هؤلاء الوزراء عادوا إلى الوراء بضع سنوات لتذكروا أن كانوا ناسين أو متناسين أن مصر ومصر وحدها هي التي حمتهم من اجتياح قوات عبد الكريم قاسم سنتي 1961و 1962 وهي التي حمتهم من اجتياح قوات البعث العراقي مرات ومرات، وأنا كمصري عربي أقدر جيدا بعض الظروف الخاصة ببعض الدول الأخرى التي تخشى على نفسها وعلى حكامها من الإرهاب الدموي الذي يرفع لواءه بعض الأخوة الفلسطينيين والخوف من هذا الإرهاب الدموي هو الذي أجبر بعض وزراء الخارجية العرب على اتخاذ بعض المواقف الضعيفة المتخاذلة في لقاء بغداد، فنحن نعرف جيدا آراءهم المكتوبة والمعلنة والمسجلة في جبهة الصمود والتصدي وفي بعض قادة منظمة التحرير بالذات... ومع ذلك كله فإن اجتماع وزراء الخارجية العرب في بغداد قد فشل فيما نعلم فشلا ذريعا في اتخاذ أي قرار حتى ولو كان هذا القرار خاصا بشكر " المهيب " " المهاب" أحمد حسن البكر .. كانت الانقسامات التي عرفنا وكما عرف العالم من خلال إذاعته وصحافته واضحا خلال الستين أو السبعين ساعة التي التقى فيها هؤلاء الوزراء لقاءات ثنائية أو ثلاثية أو أكثر من ثنائية أو ثلاثية، وقد كان لقاء الملوك والرؤساء العرب في بغداد حقيقة وليس كما أذاعت ونشرت صحف البعث العراقي والسوري من والاها من " القابضين" من القذافي، كان لقاء هؤلاء الملوك والرؤساء حقيقة في حد ذاته يحمل أكثر من دليل على انقسام وجهات النظر، وكم حدث في هذا الاجتماع من مشاحنات ومعارك أيسرها على ما نقلت وكالات الأنباء، تلك التي حدثت بين ممثل منظمة التحرير الفلسطينية– تصوروا! – وبين ممثل إحدى دول البترول التي تمد منظمة التحرير بالأموال الوفيرة، وكان هذا الصدام حول قول الوزير البترولي:" أن للمسجد الحرام ربا يحميه، وردا على قول مندوب منظمة التحرير الفلسطينية بأن الصهاينة يهددون باحتلال مكة" فإذا بهذا المندوب الفلسطيني يرد في وقحة لا مثيل لها: " ألم يكن للقدس أيضا رب يحميها"..... وكذلك المعارك" الدامية" التي حدثت بين ممثل اليمن الشمالية الذي كان رائعا في مواقفه في كل لقاءات بغداد وبين ممثل اليمن الجنوبية.... وألطف ما جاء من اعتذارات عن المشاركة في لقاء بغداد هو ذلك الاعتذار الذي توجه به الأخ العقيد الفقيد معمر القذافي ...اعتذر عن المشاركة في مؤتمر" قمة بغداد" لأن كل مواطن ليبي في رأيه جدير بأن يشارك في مؤتمر القمة فالمليونا ليبي هم كلهم على مستوى الرؤساء والملوك العرب، فعندما يبعث بأي ليبي للمشاركة في هذا المؤتمر يبعث للملوك والرؤساء

العرب بمن يليق أن يجلس معهم....وحكايات كثيرة يمكن أن تروى عما حدث في لقاء بغداد وخاصة عبارات الغزل التي تبادلها كل من الملك حسين والسيد ياسر عرفات وهي العبارات التي أشادت بها صحف البعث في سوريا والعراق، وكم كنا نود أن نتحدث عن عبارات الغزل هذه ، وما سبقها وما تلاها من حكايات وقصص ولكننا نؤثر عدم الخوض في هذه الموضوعات لأننا لا نزال نكن للملك حسين تقديرا خاصا ونعرف جيدا الظروف القاسية والمريرة التي دفعت العاهل الأردني إلى أن يضع يده في يد أولئك الجلادين الذين سحلوا أقرب الناس إليه، والذين علقوا جثث الأطفال من عائلته في بغداد والذين كانوا يحتفظون إلى ما قبل زيارته لبغداد ببعض أعضاء جثمان الأمير السابق عبد الأله يحتفظون بها محنطة في أنابيب تعرض على كبار الزوار الذين يزرون بغداد، وتبقى بعد ذلك كله كلمات موجزة عن لقاء بغداد نحب أن نوجزها باختصار شديد:

من الناحية القانونية يمكننا أن نقول بأن أية مقررات اتخذها المجتمعون في بغداد بخصوص الجامعة العربية لا يمكن أبدا أن تكتسب صفة الشرعية ولا يمكن أبدا أن تكون قابلة للتنفيذ من جانب جامعة الدول العربية، فلقاء بغداد تم كما سبق أن قلنا بدون علم الجامعة العربية ومن وراء ظهرها بل تم مخالفا لكل القرارات التي اتخذت في مجلس الجامعة العربية خاصة بمؤتمر القمة الثامن.... أن هناك لجنة تضامن عربي قد شكلت برئاسة الرئيس جعفر النميري الذي ننتهز هذه الفرصة لنعبر له كشعب عن تقديرنا العظيم تجاه مصر العربية وحسب، وإنما تجاه كل القضايا العربية، هناك لجنة تضامن عربي ألفت، أوكل إليها لقاء الرؤساء والملوك العرب واختيار الموعد المناسب والمكان المناسب لهذا المؤتمر، وقد باشرت هذه اللجنة أعمالها ورأت تأجيل الدعوة إلى لقاء مؤتمر للقمة العربية، فلقاء بغدد أذن، وبدون دخول في التفاصيل خارج على قرارات مجلس الجامعة العربية، خارج على ميثاق الجامعة العربية نفسه والجامعة العربية التي تجاهلتها حكومة العراق تماما لا يمكن أن تعترف حتى بالرغم من ذهاب محمود رياض بمقررات لقاء بغداد ... أن الجامعة العربية بحكم ميثاقها ملتزمة تماما بكل القرارات التي تتخذها الجامعة العربية وبكل قرارات المؤتمرات التي تنعقد بدعوة من الجامعة العربية، وإلا فما هو الموقف إذا اجتمع ثلاثة عشر عضوا من الجامعة العربية يشكلون النصاب القانوني في أي اجتماع عربي بالنسبة لعدد الدول العربية، ماذا يحدث إذا اجتمع هؤلاء الثلاثة عشر عضوا واتخذوا قرارات خاصة بنقل الجامعة العربية أو حلها وكان اجتماعهم بعيدا عن الجامعة العربية وبدون دعوة من الجامعة العربية، هل يمكن مثلا تنفيذ هذا القرار؟ نقطة أخرى نثيرها من ناحية الشكل: لقد سبق الجامعة العربية اتخاذ قرار خاص بتجميد عضوية اليمن الديمقراطية فكيف يستقيم الوضع القانوني عندما تشارك دولة سبق تجميد عضويتها في الجامعة العربية في اتخاذ قرار ضد الجامعة العربية التي جمدت عضويتها، وسوابق الجامعة العربية التاريخية تسوق لنا أمثلة عديدة في أنه حتى عندما يكون هناك خلاف حاد، أحد أطرافه مصر، مقر الجامعة العربية، يتفق أعضاء مجلس الجامعة العربية على اختيار مكان أخر غير القاهرة إذا ما أصرت

الأطراف المختلفة مع مصر على أن يتم الاجتماع في مكان غير القاهرة، من بين هذه السوابق فيما نذكر " اجتماع شتورا" عندما اختلفت حكومة سوريا الانفصالية مع القاهرة واتهمتها بالتدخل في شئونها قرر مجلس أعضاء الجامعة العربية أن يكون مكان الاجتماع شتورا في لبنان، وتم الاجتماع وكانت مظاهرة هزيلة ضعيفة ضد مصر، وما أكثر المظاهرات الهزيلة والضئيلة التي يقوم بها الحكام الذين لا يعبون من قريب أو بعيد عن رغبات شعوبهم.....

والقول فيما يتعلق بأية قرارات اتخذت في بغداد سرية كانت أم علنية ضد الجامعة العربية، وبطلان هذه القرارات بطلانا مطلقا، ينطبق على أية قرارات أخرى اتخذت في بغداد علنية كانت أم سرية، فمقررات لقاء بغداد تعبير عن أراء المجتمعين في هذا اللقاء لا تكتسب أبدا الشرعية ولا يمكن أبدا تنفيذها داخل نطاق الجامعة العربية ومن حق أولئك الذين وقعوا عليها، إذا كانوا قد وقعوا فعلا، التنصل منها وعدم تنفيذها...

قرارات لقاء بغداد من الناحية الفقهية قرارات شخصية بحتة لا تكتسب أبدا أية شرعية عربية.

كل أجهزة الإعلام في دول الرفض، وفي كثير من الصحف من غير دول الرفض التي تقبض من دول الرفض، وفي كثير من الصحف من غير دول الرفض التي تقبض من دول الرفض، كتبت الكثير، الكثير عن نقل الجامعة العربية من القاهرة، كأنما مبنى الجامعة العربية في القاهرة هو الذي يبعث الحياة في مصر، والجامعة العربية كما يقول تاريخها منذ أكتوبر سنة 1944 مدينة بوجودها وبقائها واستمرارها لمصر، وليست مصر أبدا هي المدينة بوجودها وبقائها واستمرارها للجامعة العربية- ثم هناك سؤال يطرح نفسه من قبيل الافتراض: أية جامعة عربية تريدون نقلها من مصر؟ إذا لم تكن مصر ممثلة في هذه الجامعة، ماذا تعني الجامعة العربية بدون أربعين مليون مصري وبدون خمسة عشر مليوني سوداني وثمانية عشر مليون مغربي ومليونين من مسقط وعمان و....و....و..... إلى أخره.

هل يمكن تسمية الجامعة العربية بدون مصر والسودان والمغرب ومسقط وعمان واليمن الشمالية و.... و.. و.... إلى أخره بجامعة دول عربية؟ إذا كان المجتمعون في بغداد قد رأوا – ورأيهم خاطئ قانونا بالطبع- أن ينقلوا الجامعة العربية من القاهرة فنرجوهم ألا يطلقوا عليها اسم " جامعة الدول العربية" وإنما عليهم أن يطلقوا عليها" جامعة ربع الدول العربية" أو ثمن الدول العربية أو واحد على عشرين أو واحد على ثلاثين من الدول العربية، فلا يمكن أبدا أن نتصور مثلا أن دولة عزيزة وغالية كالمملكة العربية السعودية أو دولة أخرى عزيزة غالية كتونس قد وافقت أو يمكن أن توافق على نقل الجامعة العربية من القاهرة حتى لو اختارت دول الرفض الرياض أو تونس مقرا لما يمكن أن يسمى بجامعة الدول العربية.

كان التناقض واضحا في كثير من الأمور التي وقعت في لقاء بغداد، كان مثلا " المهيب" و " المهاب" أحمد حسن البكر يتغزل في مصر وفي شعب مصر، وكان يثور باستمرار ضد أية محاولة يقوم بها بعث سوريا للإساءة إلى مصر وشعب مصر، وكانت كل التصريحات وكل الخطب وكل البيانات تشيد بالقاهرة وبدور القاهرة وبالأعباء الثقال التي تحملتها القاهرة طوال السنوات الماضية من أجل القضية العربية,... كان هذا الكلام يتناقض تماما مع كل الاقتراحات التي تقدم بها البعض في لقاء بغداد ومن بينها بكل أسف، اقتراحات وزير خارجية إحدى دول الخليج التي نكن لها كل حب وتقدير.... كيف يتحدثون عن مصر وحب مصر، وفي الوقت ذاته يقترحون معاقبة مصر بنقل الجامعة العربية من عاصمتها وبضرورة مقاطعتها سياسيا واقتصاديا كما يقاطعون إسرائيل، هل الجامعة العربية في القاهرة هي من صنع النظام المصري القائم، هل الأربعون مليونا مصري الذين يشكلون شعب مصر، بعيدون عن مصر، أو ليس هؤلاء الأربعون مليون مصري هم الذين سوف يتأثرون بهذه القرارات التي قيل أنهم اتخذوها سرا في لقاء بغداد... ؟ لقد سبق لي أن قلت عندما رأى المجتمعون من زعماء الصمود والتصدي في دمشق أنهم سوف يقاطعون مصر كما يقاطعون إسرائيل، وسوف يحاربون مصر كما يحاربون إسرائيل، عندما سمعت هذا الكلام- كما سبق أن قلت أكثر من مرة- هتفت من أعماق قلبي الحمد لله .الحمد لله. أنهم لا يقاطعون إسرائيل، فبعض عواصم دول الصمود والتصدي كما يقولون مليئة بالبضائع الإسرائيلية... أنهم لم يحاربوا إسرائيل منذ عام 1948 حتى اليوم، لم يطلقوا رصاصة واحدة ضد جندي إسرائيلي أو ضد مدني إسرائيلي، أنهم لم يدخلوا أية معركة حتى معارك الكلام ضد إسرائيل.... لقد سبق لي أن أحصيت عدد المقالات والأحاديث الإذاعية التي قيلت ونشرت في دول الصمود والتصدي عن إسرائيل، وقارنتها بعدد المقالات والأحاديث التي أذيعت ونشرت في دول الصمود والتصدي عن مصر وكم كانت النتيجة مؤسفة للغاية، أنهم لا يتحدثون عن إسرائيل إذا تحدثوا إلا قليلا، بينما هم يخصصون كل إذاعتهم وصحفهم، والصحف والإذاعات التي اشتروها للهجوم على مصر، لا منذ قيام السادات بمبادرته إنما قبل حرب أكتوبر بوقت طويل.... أن الذين يهاجمون مصر اليوم ويتهمونها